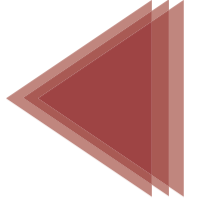


# ظاهرة ثقافية تونسية في رجل واحد

علي اللواتي

الناقد والمسرحي الذي يتبع شاعرا



فاروق يوسف  
كاتب عراقي

الناقد الفني والشاعر والرسام وكاتب المسلسلات والمترجم والمسرحي ومنسق المعارض ومؤسس المنشآت الفنية في شخص واحد. تلك ظاهرة لم يمثّلها في مستواها الرفيع سوى رجل واحد في العالم العربي هو علي اللواتي.

لم يكن في كل ما فعله دون مستوى الاحتراف العالي. لذلك فقد كان اعتزاله الظهور العلني قد ترك فراغا كبيرا في الحياة الثقافية التونسية بعد أن أدار مركز الفن الحي لسنوات طويلة.

حين النظر إليه فإن كل جهة من جهاته تكفي لتأكيد موقعه الاستثنائي، لا بين أفراد جيله المتمرد حسب بل وأيضا بين مثقفي التنوير التونسيين عبر الأجيال.

وهب الفن التشكيلي التونسي قوة دفع، حين تبني تجارب فنية، كان من الممكن أن تقع ضحية لسوء فهم ثقافي. وفي الشعر سعى أن لا ينخرط في الشعرية التونسية بعد أن ارتقى بلغته إلى مستوى رائعة سان جون بيرس "أناياز". فكان معجمله الشعري لا يعتمد المفردة لذاتها بل بما هي مشحونة به من صور.

## مبتكر أفكار ثورية

في حياته العملية كان بارعا في تأسيس قواعد ثابتة للعمل الثقافي ولم تغره التظاهرات المؤقتة التي لا تزال تهيم على الحياة الثقافية في تونس وهي سبب غياب التجارب الأصيلة وسط ضباب الاحتفالات الاستعراضية.

كان في عمله رجل مبادئ لم تتعرض للاهتزاز أو التراجع. لذلك فقد تعرضت كل المنشآت التي أقامها إلى النسف بعد غيابه بسبب طغيان الروح الشعبوية التي لم تستطع التفاعل مع مبادئه.

حدثني غير أن شغفه بالشعر العربي القديم لا يطفئ عليه. وفي الفنون،

كانت لديه رؤيا خاصة لمعنى الأصالة الفنية وهو الذي ترجم كتاب الكسندر بابادوبولو الأساسي في المكتبة العالمية "جماليات الفن الإسلامي". وكتب مقدمة لذلك الكتاب بعنوان "جماليات الرسم الإسلامي".

وكما أرى فإن التونسيين كانوا محظوظين بمؤرخ فن من نوع اللواتي الذي تميز بإحكامه المُنصف، بحيث استطاع أن يضع كل شيء في مكانه في ظل ضجيج الانقلابات وحركات التمرد التي شهدتها المشهد الفني في تونس.

لقد تحمس نقديا للفنانين الذين ظهرُوا وأواخر ستينات القرن الماضي وبداية سبعينياته غير أن ذلك لم يمنعه من أن يتعامل باحتراف المؤرخ وحياديته مع تجارب الفنانين المؤسسين "جماعة مدرسة تونس". وهو ما جعل من كتبه مرجعا لا يمكن الاستغناء عنه حين النظر إلى الماضي.

ولد اللواتي في تونس عام 1947. تخرّج من المدرسة الصادقية وحاز على إجازة في القانون الخاص من كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية والسياسية. قبل أن يغادر الجامعة كان قد ترجم قصائد إدغار آلان بو وغيوم أبولينير.

بعد تخرجه من الجامعة التحق بالعمل في وزارة الثقافة ليدبر قسم الفنون التشكيلية ما بين عامي 1974 و1986. لم يكتف بمهامه الوظيفية فقد كان يطمح إلى تحقيق انتقاله في الوعي الثقافي لدى عامة الناس لتسجم مع ما حققه الفنان التونسي الحديث من إنجازات فنية فأسس مركز الفن الحي وأداره. وترأس مهرجان قرطاج لعامي 1985 و1986. بعدها أسس دار الفنون بحديقة البلقيدي، وهي منصة لا تزال تعرض التجارب الفنية الحديثة. وإلى جانب اهتمامه بالفنون التشكيلية قام اللواتي بتأسيس مركز الموسيقى العربية والمتوسطة بدار البارون درلنجي بضاحية سيدي بوسعيد.

أصدر اللواتي عبر مسيرة حياته كتبا في الشعر والمسرح والنقد الفني وتاريخ الفن. كما كتب مقدمات لعشرات الكراسات التي ترافق إقامة المعارض الفنية وكتب سيناريوهات وحوارات العديد من الأفلام التلفزيونية. يعتبر كتابه "مغامرة الفن الحديث في



اعتزال اللواتي الظهور العلني يترك فراغا كبيرا في الحياة الثقافية التونسية، بعد أن أدار مركز الفن الحي لسنوات طويلة، وترجم الشعر وكتبه، واشتغل في النقد الفني ورسم وأدار منصات مسرحية، ووضع سيناريوهات للمسلسلات التلفزيونية «الصورة لمركز الموسيقى العربية والمتوسطة الذي أسسه اللواتي».

الرسم السريالي و"الرسم الأوروبي بتونس" و"علي بن سالم" و"فتحي بن زكور" و"الهادي السلمي" و"أحمد الحجري" و"الفن التشكيلي في تونس". أهمية اللواتي ناقدا تكمن في انفتاحه على التاريخ والعكس صحيح أيضا. ذلك لأن أهميته مؤرخا تكمن في حسه النقدي الرفيع وقدرته على التمييز بين ما هو ضروري وراسخ وعميق وبين ما هو سطحي وزائل ومؤقت.

الشعراء الفرنسيين على مستوى اللغة. وحين يتمكن المترجم من تفكيك تلك اللغة وإعادة تركيب بنيتها الداخلية عبر لغة أخرى فإن ذلك الإنجاز يشير إلى طاقة شعرية لا يملكها إلا شاعر.

## الرسام الهارب من الكتابة

ولأن ذلك العمل قد أُعتبر إعجازيا فقد صار نص "بيرس" بلغة اللواتي بمثابة حاجز صعب على الكثيرين اختراقه في محاولاتهم ترجمة بيرس.

ذلك ما انعكس على تجربة اللواتي الشعرية التي تميزت بقوة اللغة من الداخل، فكانت شعرية المشاعر والأشياء تتبع شعرية اللغة في غموض مقاصدها وتنوع دلالاتها.

أن يكون الرسام ناقدا بحجم علي اللواتي فتلكت في حد ذاتها معضلة كبيرة. لقد ألف اللواتي عن الفن التشكيلي الحديث في تونس، ناقدا ومؤرخا كتبا عديدة، نذكر منها "مغامرة الفن الحديث في تونس" و"التجريد في الرسم التونسي" و"رؤى الرسام الهارب من

المياه". ربما أصدر كتبا شعرية أخرى لا علم لي بها، غير أن ترجمته المدهشة لقصيدة الشاعر الفرنسي سان جون بيرس الطويلة "أناياز" تعتبر واحدا من أهم إنجازاته الشعرية. ذلك لأن بيرس كان واحدا من أصعب

تونس" واحدا من أهم مراجع الحداثة الفنية في تونس. نال جائزة الدولة للنقد الفني عام 1997 وجائزة الطاهر حداد عام 2001. وتوزع نشاطه بين الخدمة العامة والتأليف الشخصي. وفي كلا الجانبين كان أثره واضحا في الحياة الثقافية بسبب عمق أفكاره وثبات ثقته المطلقة بالفن. فهو

متمردا على القوالب الجاهزة في العمل الثقافي فإنه انحاز إلى تحسين فكرة المؤسسة القادرة بكفاءة على الحفاظ على الموروث الفني، وتطوير الوعي الجمالي لدى عامة الناس والارتفاع

بذائقهم الجمالية إلى مستوى يليق بهم مطلقا لا يحط من قيمة العمل الفني. كان رجل تاريخ متوازن مثلما كان ناقدا شرسا.

## لغة الشعر التي يتبعها

"أولا وأخيرا أنا شاعر" يقول اللواتي في جواب على سؤال تقليدي يتكرر ذي علاقة بتعدد انشغالاته الفنية. وفي ذلك تفسير لشغفه بما يقوم به كما لو أنه يكتب الشعر. "إنه الغلالة التي تغلف كل فعل خلاق بالرقعة". تعريف يُخرج الشعر من نطاقه الكتابي إلى دائرة صفاته. فالشعر يحضر في كل ما يقوم به من غير أن تكون هناك قصائد مكتوبة.

أصدر اللواتي "أخبار البئر المعطلة" تلاه بكتاب "في مجيء



**حياته العملية تقوم على تأسيس قواعد ثابتة للعمل الثقافي، لم تغره التظاهرات المؤقتة التي لا تزال تهيم على الحياة الثقافية في تونس وهي سبب غياب التجارب الأصيلة وسط ضباب الاحتفالات الاستعراضية**

لذلك احتلت كتاباته موقعا متقدما في الفكر الفني الحديث بتونس، وهو ما جعل منه واحدا من أهم نقاد الفن ومؤرخيه في العالم العربي. غير أن اللواتي حين يمارس الرسم فإنه يضع نفسه في مازق. يقول البعض ممن يرى أن ما قدمه اللواتي رساما لا يرقى إلى مستوى إنجازه النقدي. يقول اللواتي توضيحا لذلك الالتباس ما معناه إنه يمارس الرسم ليتسلل. وهو في ذلك إنما يضع الرسم في مجال الهواية وليس الاحتراف. فهو يتجه إلى الرسم حين يتعب من الكتابة.

الرسام الهارب من الكتابة هو بالنسبة للواتي ضرورة حياة، كما أن التجربة العملية تجعل الناقد قريبا من مواد وتقنيات الرسم وهو أمر فيه الكثير من الفائدة.

فإذا كان الشاعر يرعى لغته فإن الرسام يقوده في نزّهات مفعمة بالحياة.

